الحياة الثقافية ببايلك الشرق الجزائري خلال فترة حكم صالح باي
دباب بومدين ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 80–92
DOI: 10.54242/1702-013-003-005

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

الحياة الثقافية ببايلك الشرق الجزائري خلال فترة حكم صالح باي
1771-1792

Cultural life in the Algerian eastern Beylik during the reign of Salah Bey 1771-1792

بومدين دباب (*)

جامعة سيدي بلعباس، الجزائر

Debab Boumedienne
boumedienedebab1973@gmail.com

تاريخ الإيداع: **2022/05/24** تاريخ القبول: **2022/12/05** تاريخ النشر: **2022/12/31**

الملخص:

عرفت الحياة السياسية لبايلك الشرق الجزائري في أواخر العهد العثماني نوعا من الاستقرار خاصة في فترة حكم صالح باي 1771-1792 حيث لم تختلف أعماله وجهوده عن تلك التي قام بها الياي محمد الكبير بالغرب الجزائري في مختلف الميادين .ونظرا للمكانة الشعبية التي احتلها صالح باي بين أوساط بايلك الشرق الجزائري فقد قام بعدة انجازات في ميدان العلم والثقافة ؛ وسنحاول في هذه الورقة البحثية الوقوف على مساهمة هذه الشخصية في تشجيع الحركة العلمية وعلاقته بالعلماء وشيوخ الزوايا.

الكلمات الدالة:

الثقافة، بايلك الشرق، الجزائر، صالح باي

(*) المؤلف المرسل: دباب بومدين: boumedienedebab1973@gmail.com

الحياة الثقافية ببايلك الشرق الجزائري خلال فترة حكم صالح باي
دباب بومدين ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 80–92
DOI: 10.54242/1702-013-003-005

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

Abstract:

The political life of Bayelk in the East of Algeria in the late Ottoman era witnessed a kind of stability, especially during the period of Saleh Bey's rule from 1771-1792, as his work and efforts did not differ from those carried out by Bey Mohamed Kabir in the West of Algeria in various fields.In view of the popular position occupied by Saleh Bey among the circles of Baylik in the east of Algeria, he made several achievements in the field of science and culture; In this research paper, we will try to determine the contribution of this character to encouraging the scientific movement and its relationship with scholars and elders

Key Words:
Culture, East Beylik, Algeria, Salah Bey

****

مقدمة:

تعاقب علىعاصمة بايلك الشرق الجزائري طيلة الفترة العثمانية مجموعة من البايات ؛تركوا بصماتهمفي شتّ المجالات، حيث يعتبر صالح باي من أشهر الشخصيّات التي ماتزال انجازاتها شاهدة في معالم المنطقة وكان له الأثر الفعّال في تاريخ الشرق الجزائري نظرا للمكانة التي احتلها في تاريخ قسنطينة وسمعته التي اكتسبها بين حكّام الجزائر خلال العهد العثماني ،والشعبية التي تمتع بها في أوساط القسنطينيين خاصة والشرق الجزائري عامة وهذا راجع لقيامه بأعمال عظيمة من خدمات اجتماعية واقتصادية وثقافية وعلمية ومنشآت عمرانية ولهذا الغرض حاولنا الوقوف على الحياة الثقافية مبرزين جهوده في هذا القطاع وعلاقته بالعلماء،ومن هنا طرحنا الإشكالية الآتية:

مامدى مساهمة صالح باي في تشجيع الحركة العلمية ببايلك الشرق الجزائري طيلة فترة حكمه 1771-1792؟

وفيما تتجلى بصماته في الجانب الثقافي؟ وما طبيعة علاقته بالعلماء؟

الأوضاع العامة لبايلك الشرق الجزائري في عهد صالح باي 1771-1792:

بدأت شخصية وشجاعة صالح باي تبرز أمام الملأ عندما شارك في حملة الباي زرق عينه ضدّ تونس ومرافقته لأحمد القلّي عندما كان مسؤولا عن البريد (باش سيّار)،وبعد وفاة زرق

الحياة الثقافية ببايلك الشرق الجزائري خلال فترة حكم صالح باي
دباب بومدين ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 80–92
DOI: 10.54242/1702-013-003-005

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

عينه عيّن احمد القلّي على رأس بايلك الشرق؛فتوطدت العلاقة بينه وبين صالح باي وأصبح في الواجهة بجانب الباي الجديد[1].

ونظرا لمهارته العسكرية وحسن تدبيره في الحملات العسكرية ضد بايات تونس رقي إلى الوظائف العليا حيث كلفه الباي احمد القلّي سنة 1762م لقيادة قبيلة الحراكتة بالاوراس لمدّة ثلاث سنوات ثمّ صاهره بتزويجه ابنته ورقّاه إلى منصب "خليفة الباي" سنة 1765 م ؛فاثبت صالح باي قدرته على تسيير شؤون الرعيّة واحترامه الكبير لأوامر الباي، ماجعل هذا الأخير يقترحه خلفا له ووافق الداي محمد بن عثمان باشا هذا الاقتراح وولاّه بايا على قسنطينة وبايلك الشرق الجزائري سنة 1771[2].

لم تختلف أعمال صالح باي في بايلك الشرق عن تلك التي بذلها الباي محمد الكبير في الغرب الجزائري والتي تمثلت في إخضاع الجهات الممتنعة عن دفع الضرائب والقبائل المتمردة؛حارب الزواوة سنة 1772 وتوسع في حركته نحو الجنوب والغرب حتى وصلت جيوشه إلى الهضاب العليا الغربية فاخمد انتفاضة أولاد نايل سنة 1773 التي شقت عصا الطاعة في وجه داي الجزائر آنذاك، وفي هذا الصدد يذكر احمد الشريف الزهار قائلا:"...أعلنت قبائل أولاد نايل التي تمتد أراضيها بين مسيلة وبوسعادة والاغواط والجلفة العصيان، فسار إليها من اجل إخضاعها قائد التيطري فقتلوه...ثم سار إليهم صالح باي قسنطينة فأرغمهم على الطاعة..."[3].

كما شنّ عدة حملات عسكرية على الهضاب العليا القسنطينية فاخضع قبائل الزمول والسفينة جنوب قسنطينة؛ وهاجم أولاد عاشور بفرجيوة سنة 1776م والحدّ من تطلعات شيخهم محمد شلغوم؛ كما قام بقمع عصيان أولاد عمّور سنة 1785م وسار بجيشه على توقرت سنة 1788م وقضى على حكم عائلة بني جلاّب[4].

بالإضافة إلى الجانب السياسي فقد أولى صالح باي عناية كبيرة للمجال الاقتصادي وخاصة الزراعة التي انتعشت في عهده بإدخال مزروعات جديدة مثل الأرز معتمدا على نظام ري ـ دائم له كما شجع زراعة أشجار الزيتون بالنواحي القريبة من عاصمة البايلك، كما أقام المخازن لحفظ الإنتاج الزراعي قبل تصديره إلى الخارج عن طريق مينائي عنابة والقالة، وشجع الحرف حتى أصبحت قسنطينة في عهده تعجّ بالورشات المختلفة والأسواق بلغ عددها 28 سوقا و21 ممرا تجاريا (سابطاً) وثلاث رحبات لعرض السلع وخمس أفران و27 مطحنة حبوب تنتج

الحياة الثقافية ببايلك الشرق الجزائري خلال فترة حكم صالح باي
دباب بومدين ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 80–92
DOI: 10.54242/1702-013-003-005
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

يوميا حوالي 600 قنطار من الدقيق،وأضحت ملتقى الطرق التجارية ومحطة للقوافل المتجهة نحو تونس والشرق أو بلاد السودان[5].

جهود صالح باي في تشجيع الحركة الثقافية ببايلك الشرق الجزائري 1771-1792 :

يعتبر صالح باي من أبرز بايات الجزائر في الشرق الجزائري، فقد كان ذا شهرة واسعة وذاع صيته بفضل انجازاته، حيث عرف عصره ازدهارا وانتعاشا والتف حوله الناس،أما عن علاقته مع العلماء فقد قربهم إليه واهتم بالتعليم ورجال الدين والفقهاء أمثال المفتي الشيخ عبد القادر الراشدي والقاضي الحنفي الشيخ شعبان بن جلول والقاضي المالكي الشيخ العباسي[6].

ومن مآثره اهتمامه بالمنشآت الدينية إذ قام ببناء المدرسة الكتانية سنة 1775م وبعد ذلك قام بتأسيس الجامع الحنفي بجوارها[7]، واختلفت انجازات هذا الباي في الميدان الثقافي والتي نوجزها فيما يلي:

أ/ المدارس: لقد أولى صالح باي عناية خاصة للتعليم وقد شجعه على ذلك الاستقرار السياسي، وما أنجزه في هذا المجال يوحي بانه كانت منافسة بينه وبين بعض حكام البايلكات، فاستمر على النهج الذي سار عليه سلفه الباي احمد القلي في جعل قسنطينة مدينة للعلم والعلماء، لذلك اعتبر إن خدمة المجتمع في المجال الثقافي جزءا من واجبه الديني وتأدية لشعيرة دينية ، فاستطاع بذلك إن يكسب عطف الرعية وينال الشهرة أيضا[8]،ومن بين أهم المدارس التي شيدها صالح باي نذكر مايلي:

مدرسة سيدي الكتاني: تقع مدرسة سيدي الكتاني في الجزء الثاني للمدينة العتيقة أي أعلاها قريبا من جسر سيدي مسيد المعلق والمؤدي إلى المستشفى الجامعي (ابن باديس) وكذا بمحاذاة السوق الشعبي المسمى بسوق العصر الذي سمي بعد الاستقلال بساحة بوهالي السعيد، يحدها من الشمال دار الإمام حاليا ومن الجنوب جامع سيدي الكتاني وبهذا فهي جزء من مركب سيدي الكتاني .

واشتهرت منذ تأسيسها سنة 1787م باسم المدرسة الكتانية نسبة إلى ولي صالح اسمه الكتاني دفن بتلك البقعة خلال القرن 16م ،وذلك لما جرت عليه العادة على تسمية المدارس والمساجد والزوايا ونسبهم إلى رجال اشتهروا بالعلم تبركا ورغبة في الإقتداء بهم وبذلك كانت طاعتهم للمرابط ؛ طاعة لايمكن تفسيرها[9]، مثل مدرسة سيدي لخضر ومدرسة عمر الوزان.وكانت المدرسة تلقن الطلبة التعليم في مختلف الفنون والعلوم مثل الحساب والنحو والفلك والفقه[10].

الحياة الثقافية ببايلك الشرق الجزائري خلال فترة حكم صالح باي
دباب بومدين ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 80–92
DOI: 10.54242/1702-013-003-005
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

لقد لعبت هذه المدرسة منذ تأسيسها دورا كبيرا في تثقيف العامة وتكوين جيل جديد من المثقفين القادرين على إدارة الشؤون الداخلية للبايلك، وقد عمد صالح باي بهذه المدرسة لمحاربة الزوايا والتصوف والطرقية بطريقة غير مباشرة وبقيت محافظة على دورها حتى بعد الدخول الفرنسي للجزائر حيث ضمت إلى أملاك الدولة بعد الاحتلال الفرنسي لقسنطينة صباح يوم الأربعاء 13 أكتوبر 1837م، وبهذه المدرسة دفن صالح باي بعد وفاته وعائلته حيث تقع المقبرة العائلية ضمن نطاق المدرسة أو داخل المدرسة في القسم الشمالي منها وهي تحتل مساحة صغيرة إضافة إلى احتوائها على قبور القضاة والمعلمين.

وأقام صالح باي بالقرب منها منازله الخاصة وبيوتا لحاشيته منهم خدمه الايطاليون وجرّاحه الخاص النابولي الأصل وتتصل بهذه المنازل بساتينه واصطبلاته وحمامه الخاص، بالإضافة إلى وضعه للعديد من الدكاكين[11] التي تحيط بسوق الجمعة الذي احتل بدوره الصدارة في معاملات صالح باي بعد الجامع والمدرسة[12].

مدرسة سيدي لخضر: تقع هذه المدرسة بجوار الجامع الأخضر الذي بناه حسن بن حسين الملّقب " أبو حنك"، يرجع بنائها إلى سنة 1779م؛أي بعد 36 سنة من بناء المسجد الحنفي «سيدي الأخضر» حيث قام صالح باي بشراء الأراضي المجاورة للمسجد وقام ببناء مدرسة تحمل نفس الاسم، وكانت الساحة محاطة بغرف الطلبة، تحتوي على خمسة من البيوت منها بيت للمدرس وأربعة للطلبة، مائضات وبيت لوضع الأمتعة.

وتخضع هذه المدرسة لنظام دقيق يسير على ضوئه المدرسين والطلبة وللالتحاق بها تم وضع مجموعة من الشروط المتمثلة فيما يلي:

إن يقرأ الطالب ثلاث أوقات في اليوم وأجرته لاتتعدى 30 ريالا.

يشترط على الطالب إن يكون حافظا للقرآن الكريم.

الإقامة الدائمة بالمدرسة وعدم الخروج إلا للضرورة وان يكون غير متزوج[13].

وفي سنة 1780م اصدر صالح باي قانونا خاصاً بالمدارس ومما جاء فيه:"...إن الأستاذ يعين مباشرة من طرف الباي صالح نظرا لتقديره للعلم والمعرفة...ولايمكن لأي طالب أن ينام خارج المدرسة دون عذر...وتكون العطلة الممنوحة للطلبة من عشرين إلى ثلاثين يوما، وإذا لم يعد الطالب إلى المدرسة بعد انتهاء العطلة مباشرة بدون سبب يطرد ويعوض بطالب آخر...وكل طالب لايولي اهتماما بالدروس يكون مصيره الطرد النهائي..."[14].

الحياة الثقافية ببايلك الشرق الجزائري خلال فترة حكم صالح باي
دباب بومدين ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 80–92
DOI: 10.54242/1702-013-003-005
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

ومن خلال ما سبق من هذه القوانين الصارمة نستشف إن الباي صالح كان لها جانب كبير من الحكمة في تسيير أمور التعليم، وقد سن هذه القوانين أكبر علماء ذلك الوقت كالشيخ "عبد القادر الراشدي" مفتي الحنفية و "شعبان جلول" قاضي الحنفية، و "العباسي" قاضي المالكية[15].

أما في المناطق النائية فقام صالح باي ببناء الزوايا لتحفيظ القرآن الكريم، وكان يهدف من هذه المؤسسات العلمية نشر التعليم بين الناس على نطاق واسع، ليتمكنوا من أمور دينهم، ولإعداد رجال يتولون أمور الإفتاء والقضاء والإمامة والتدريس، وكل ما يتعلق بالشؤون الدينية، بالإضافة إلى حفظ علوم الدين من الضياع والنسيان، والعمل على تحسينها، ويهدف كذلك إلى إعداد الفرد المسلم للحياة إعدادا جيدا ليفيد نفسه ومجتمعه[16].

كما لا يمكننا أن ننكر دور المكتبات التي كثرت عبر أنحاء المدينة، وكانت الكتب تأتي إلى هذه المكتبات عن طريق النسخ والتصنيف، أو تأتي من الخارج من بلاد الأندلس ومصر والقسطنطينية والحجاز، عن طريق الشراء والاقتناء، وقد اعترف بعض المستشرقين الفرنسيين بكثرتها وأعجب بها سواء المكتبات العامة أو الخاصة التي تملكها بعض الأسر القسنطينية، ولا سيّما منها "عائلة ابن الفكون" و"الباشتارزي" و"كوجك على" و"ابن جلول"و"ابن البجاوي" و"ابن باديس"، كما كانت تفتح بيوتها أمام الطلبة، واشتهرت عائلة ابن باديس باشتغالها بالقضاء، وحسب كتابة أثرية (شاهد قبر) عثر عليها عند هدم مسجد "سيدي النعراش" وهي لقبر الشيخ حسن بن خلف الله بن باديس بن القاسم بن ميمون القيسي أبي علي؛ تخبرنا هذه الكتابة عن مهنة هذا الشيخ الذي كان قاضيا وفقيها وتوفي سنة 1782م[17].

ب/ المساجد:لقد أولى صالح باي عناية خاصة لإعطاء مظهر جميل لقسنطينة وجعلها في أجمل حلة وإعادة مكانتها عندما كانت عاصمة للنوميديين حث شجع المشاريع العمرانية الدينية والمتمثلة في المساجد والجوامع التي بقيت صرحا حضاريا تشهد على مجهوداته في المجال الثقافي، وتختلف الإحصائيات حول مساجد مدينة قسنطينة ففي عهده بلغت حوالي 75 مسجدا وجامع بالإضافة إلى 07 مساجد خارج المدينة، وقد جاء في بعض الإحصائيات أن قسنطينة كان بها حوالي 35 جامع فقط؛ أما الورثيلاني الذي زارها في القرن 18م فقد ذكر انه كان بها حوالى 05 جوامع خطبة وان بعضها كان متقن البناء[18]،ومن اشهر المساجد التي بناها صالح باي نذكر مايلي:

الحياة الثقافية ببايلك الشرق الجزائري خلال فترة حكم صالح باي
دباب بومدين ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 80–92
DOI: 10.54242/1702-013-003-005
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

جامع سيدي الكتاني: يقع الجامع وسط حي شعبي؛ وهو جزء من مدرسة سيدي الكتاني ، حيث يقول ابن النقاد في مخطوطه حول الجامع مايلي:"...فبنى الشارع بعد أن كان مراحا وبنى وأقام به دورا وبنا جامعه المشهور المسمى بسيدي الكتاني بناء عجيبا...وبه صومعة..."[19].

وألحقت بهذا الجامع عدة ملاحق كبيت الصلاة والميضأة التي تقع في الطابق العلوي والباب الموجود في الركن الغربي الجنوبي والخاص بدخول النساء والسقف الذي يعلو الصحن وكذا السلم الصاعد إلى السدة في بيت الصلاة وكذا البلاطات الخزفية في السلم الصاعد إلى الطابق العلوي .

مسجد مركب سيدي محمد الغراب : يقع المركب الديني لسيدي محمد الغراب في نواحي قسنطينة في قرية قريبة من المدينة تبعد عنها حوالي 06 كلم ،كانت هذه القرية تعرف في الأصل بالغراب وهو الاسم الذي لا يزال عامة الناس يعرفونها بها، إلا أنه تم إطلاق تسمية ثانية عليها وهي "صالح باي".

يعود أصل تسمية هذا الضريح بالغراب إلى الشيخ محمد الزواوي الحنصالي الذي اغتيل في مكان تأسيس المركب بسبب تراجعه عن دفع الإعفاءات التي كانت تستفيد منها الزوايا وبأمر من الباي صالح تمّ إعدامه وبذلك سمي المسجد باسمه، أما تسمية الغراب فتعود إلى الأسطورة القائلة بتحول جثة هذا الولي الصالح إلى غراب[20].

مسجد صالح باي بعنابة : يقع الجامع في قلب مدينة عنابة وبالضبط في الناحية الشرقية من مساحة العرض العسكري بوسط مدينة عنابة والمعروفة بحارة سيدي شريط (سابقا).

لقد سمي بجامع الباي نسبة لمؤسسه صالح باي بن مصطفى الذي أسسه وزاوج فيه بين المذهبين المالكي والحنفي، وسبب تأسيس هذا الجامع يرجع إلى الصراع الذي دار في مدينة عنابة بين المالكية والأحناف. وقد حدد تاريخ التأسيس بإحصاء الحروف التي تتركب منها جملة "بالخير برك جامع" "التي وجدت في إحدى واجهات الجامع عبارة عن سبعة أبيات شعرية وهذا حسب الطريقة المغربية أو المشرقية، وقد تفنن الشعراء في مدحه:

لعمرك بيت الله لسر جامع مشيدا أركانه به النور ساطع
بدت دونه زهر الكواكب رفعة به بونه للسعد منها طالع
به جاد تاج الدين والمجد صالح إلى درج العلياء راق وطالع[21]

كما لا يمكننا أن ننكر دور المكتبات التي كثرت عبر أنحاء المدينة، وكانت هذه الكتب تأتي إلى هذه المكتبات عن طريق النسخ والتصنيف أو تأتي من بلاد الأندلس ومصر والقسطنطينية

الحياة الثقافية بباياك الشرق الجزائري خلال فترة حكم صالح باي
دباب بومدين ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 80–92
DOI: 10.54242/1702-013-003-005
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

والحجاز، عن طريق الشراء والاقتناء، وقد اعترف بعض المستشرقين الفرنسيين بكثرة الكتب والمكتبات بقسنطينة، وأعجب بها سواء المكتبات العامة أو الخاصة التي تملكها بعض الأسر القسنطينية، ولا سيما منها "عائلة الفكون".[22] أما في المناطق النائية فقام صالح باي ببناء الزوايا لتحفيظ القرآن الكريم، والتي كانت بمثابة نقطة أمامية ضد الأعداء ونذكر هنا على سبيل الذكر لا الحصر مشاركة العالم الفقية الشيخ عبد القادر الراشدي الى جانب صالح باي للدفاع عن مدينة الجزائر، فهو لم يكن عالم دين وفقط بل كان رجل كفاح وجهاد إلى جانب امتهانه للتدريس في الجامع الأخضر وتوليه القضاء والإفتاء على المذهب المالكي[23].

وعموما كان يقوم بالإمامة والتدريس في المدارس والمساجد أئمة ومدرسون يشرفون بدورهم على الموظفين فيها من المقرئين والمؤذنين وحفظة القرآن ؛ وقد اختلفت في عدد موظفيها من جامع ومدرسة لأخرى، ويتقاضون مرتبا خاصا من الأوقاف وكمثال عن المرتبات التي خصصها صالح باي لموظفي جامع الغزل مايلي[24]:

الوظيفة	المرتب
الخطيب	100 ريال
الإمام	50 ريال
رئيس المؤذنين	30 ريال
المؤذنين	125 ريال لكل خمسة منهم
المنظفين	04 ريال
ناظر الوقف	40 ريال

فعالية الأوقاف في عهد صالح باي:

لقد قام صالح باي بمجهودات كبيرة لتنظيم الأوقاف وحمايتها،وكان الأول من فاعلي الخير ليحذو حذوه بعض أعيان مدينة قسنطينة من كبار الموظفين مثل رضوان خوجة وكيل بيت المال ومصطفى فيصارلي؛ إلاّ أنّ أملاك صالح باي كانت الأكبر[25].

إن تفعيل صالح باي للأوقاف في مجتمع مدينة قسنطينة كان من خلال تعيينه لعمال يسجلون أملاك المساجد، والمؤسسات الخيرية، بحيث تكون تحت إشرافه ومراقبته؛ وقد أمر بتدوين تلك الأوقاف في سجل كبير حيث دونت فيه قائمة المساجد والمؤسسات المدنية بما لها من أملاك، كما وضعت دفاتر صغيرة الحجم خصت كل مسجد بصفة مستقلة، وقد بلغ

الحياة الثقافية بباياك الشرق الجزائري خلال فترة حكم صالح باي
دباب بومدين ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 80–92
DOI: 10.54242/1702-013-003-005
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

عددها المائة، لكن هذه السجلات ضاعت كلها، باستثناء جزء من دفتر دونت فيه عقود أحباس الجامع الأعظم الذي بناه صالح باي[26]

كما قرر محاسبة الوكلاء في كل ستة أشهر وعهد إلى المجلس العلمي المكوّن من العلماء وصاحب بيت المال بالنظر في شؤون الأوقاف وفائضها في كل سنة على إن يستعمل الفائض في شراء عقارات تصبح بدورها وقفا[27]، حيث وصلت أخبارا لصالح باي بأن التقصير قد وقع في أوقاف المساجد وعاث فيها الوكلاء فسادا ونهبا وإهمالا فعطلت عن وظائفها وأصبحت مرابط للدواب، فاصدر قرارا سنة 1776م كلف بموجبه القضاة والمفتيين كلّ من الشيخ عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي وشعبان بن جلول القاضي الحنفي والشيخ العباسي القاضي المالكي بالبحث عن أوقاف المساجد بعد إن حولت عن أغراضها الأساسية وأمرهم بتقييد نتائج تحقيقاتهم في سجلّ خاص[28].

وحتى نبين حرص صالح باي على الأوقاف و تنظيم مؤسسة الأوقاف بقسنطينة نثبت ما جاء في إحدى وثائق الوقف المؤرخة سنة 1776م والتي جاء فيها مايلي:"... " الحمد لله ولما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة ولم يكن لهم اعتناء بشأن الأوقاف وفرطوا في ذلك غاية التفريط وضاع الكثير منها...وبلغ أمر ذلك لحضرة المعظم الأسعد ... فألهمه الله إلى إحياء ما اندس من المساجد والأوقاف...أمر حينئذ قضاته أو المفتيين أن يبحثوا على أوقاف المساجد وعلى المساجد التي دمرت، ويثبتوا ذلك في ثلاث سجلات متماثلة ،فامتثلوا لأمره المساجد وبذلوا جهدهم في البحث عن أوقاف المساجد وعن المساجد التي اندثرت، وأثبتوا بعد الكشف عن ذلك، أوقاف مساجد بلد قسنطينة بهذا السجل و بثلاث سجلات مماثلة له لفظا ومعنى، وضع أحد السجلات عند صاحب بيت المال والثاني عند شيخ البلد، والثالث عند قاضي الحنفية، والرابع عند قاضي المالكية..."[29].

وحسب فاطمة الزهراء قشي فان نسخة هذه العقود التي احتفظ بها قاضي الحنفية شعبان بن عبد الجليل لاتزال حاليا لدى دار بن جلول احد أحفاده ولدى أحفاد الباي صالح من إحدى بناته، وقد اتبع الباي محمد الكبير في معسكر طريقة مشابهة لطريقة لصالح باي في مجال تسجيل الأوقاف؛ فقد جاء في إحدى الوثائق انه تتبع أوقاف مدرستي تلمسان"التي استولت عليها الأيدي ونسى الناس أنها أوقاف" وأعاد للمدرستين الأراضي التابعة لها[30].

ولقد تمركزت أملاك صالح باي التي أوقفها على الجامع في باب الوادي في حدود مثلث بين الشارع وسوق الجمعة ومقعد زواوة قرب الأبواب الرئيسية، فحبس أربعة عشر حانوتا على

الحياة الثقافية بباليك الشرق الجزائري خلال فترة حكم صالح باي
دباب بومدين ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 80–92
DOI: 10.54242/1702-013-003-005
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

الجامع الأعظم، وكانت هناك وقفيات أخرى على مساجد قسنطينة، مثل جامع سيدي الدبي، كما مست وقفيات صالح باي أحياء بكاملها مثل"سوق الجمعة" و" سوق العصر" و"حومة الشارع"و"مقعد زواوة"، وبلغت حتى "الطابية"و"باب الوادي" فكانت فرصة لترتيب عمران جديد وكان اهتمام الباي وحرصه على الجامع الأعظم يعود أساسا لحداثة بنائه[31].

وفي هذا السياق أضاف صالح باي إلى الجامع الأعظم الذي يعتبر المرجع الأول للأوقاف تسعة حوانيت، كما أوقف حانوت القبيلة على ضريح سيدي الكتاني حيث صرفت غلّة الحانوت لوكيل الضريح على إن يكون هذا الأخير متفقدا له ويكون هو المتولي لغلقه وفتحه والاطلاع على مصالحه[32].

إن السياسة الرشيدة التي اتبعها صالح باي في تنظيم الأوقاف والمؤسسات الوقفية سار على نهجها جميع بايات قسنطينة لتحقيق الإغراض الآتية:

العناية بالعلم والعلماء والفقراء والمساكين والأرامل واليتامى حيث كان يعين مدخول الوقف لتموين المساجد والزوايا والكتاتيب والأضرحة، وقد عرف الكثير من الشخصيات الدينية والسياسية من العثمانيين أنهم خصصوا مداخيل الأوقاف لخدمة المساجد والزوايا، وكذلك عرفت فئة النساء في المجتمع هذا النظام.

الحد من المظالم والأحكام التعسفية للحكام.

تضامن المجتمع وترابطه كما اظهر تضامن فئات معينة مع بعضها كالإشراف والأندلسيين

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة خلصنا إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات:

قام صالح باي بمجهودات جبارة من أجل النهوض بالثقافة والتعليم في زمن قلت فيه مظاهر العلم والتعليم، محاولا أن يمثل "عصر التنوير" في باليك الشرق خاصة والجزائر العثمانية عامة.

إن المنجزات الثقافية التي قام بها صالح باي في باليك الشرق اختفت بوفاته ذلك لأنه اعتمد على جهود فردية نابعة من ثقافته الخاصة وليست على سياسة مرسومة من قبل الدولة .

عرف صالح باي بشهرته الواسعة حيث ذاع صيته لأخلاقه وصفاته الحميدة في أنحاء البلاد وكان عصره في باليك الشرق عصر نهضة ورخاء وانتعاش خاصة في بداية عهده وهذا ماشاد به ممن عاصروه.

الحياة الثقافية ببايلك الشرق الجزائري خلال فترة حكم صالح باي
دباب بومدين ، المجلد الثالث عشـر، العدد 3، ديسمبر 2022،
ص ص 80–92
DOI: 10.54242/1702-013-003-005
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

اشتهر صالح باي بسياسته العمرانية وعرف بخدماته وإصلاحاته الاجتماعية فقد كان الجامع الأعظم المعلم والرمز، وساهم في جذب مركز المدينة التجاري حوله وتشجيعه للحركة العلمية واستحداثه لنظام دراسي دقيق.

نظم صالح باي مؤسسة الأوقاف وانعكس نشاطها على الحياة الاجتماعية المتمثل في ترسيخ القواعد الدينية السائدة والتي ساهمت في تطوير مجتمع مدينة قسنطينة.

استطاع صالح باي إن يكسب احترام العامة وتقدير أعيان البلد رغم المعارضة التي تلقاها من شيوخ الزوايا ورؤساء العشائر والتي تعد من احد الأسباب التي أدت إلى عزله من الحكم.

اكتسبت شخصية صالح باي طابعا أسطوريا اختلطت فيه الحقائق التاريخية بالأساطير الشعبية ، كما أن بعض الكتابات والأبحاث التي تناولت هذه الشخصية لم تتحرى الموضوعية اللائقة والدقة الكبيرة في كتاباتها ، حتى أنها كثيرا ما ألصقت به بعض التهم مثل وصف صالح باي بالظالم أو القاسي دون أن تعطي لنا ما يبررها منطقيا.

الهوامش:

[1] فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات ، ميبلوس، قسنطينة، 2005، ص ص 89 – 90.

[2] احمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791 سيرته ،حروبه، أعماله ، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 133.

[3] احمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر 1754- 1830 (تقديم: احمد توفيق المدني)،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 52.

[4] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2000، ص 66.

[5] نفسه، ص 335.

[6] محمد الامين شرويك،" جهود محمد الكبير وصالح باي في تشجيع حركة الثقافة والتعليم في الجزائر العثمانية على ضوء المصادر المحلية والاجنبية مجلة العلوم الاسلامية والحضارة ، العدد 08، 2018، ص 575.

[7] Mouloud Gaid, chronique des beys de constantine,o.p.u.alger,p :41.

[8] يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 10.

[9] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة (تق وتع وتحق: محمد العربي الزبيري)، منشرات المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ،2005، ص 18.

[10] رشيد بورويبة، قسنطينة، سلسلة الفن والثقافة وزارة الاعلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986، ص 126.

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

طاهري عبد الحليم، المنجزات المعمارية والفنية لصالح باي دراسة اثرية 1772 – 1792 ، دكتوراه علوم في الاثار الاسلامية غير منشورة[11]

جامعة الجزائر 2 معهد الاثار، 2017 -2018 ، ص 75.

محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 80.[12]

محمد بسكر، الانتاج المعرفي لمدينة قسنطينة مابعد دولة الموحدين معالمه واعماله، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر،2015، ص ص 250-251.[13]

Eugene Vayssette,histoire de constantine sous les beys depuis l'invasion turque jusqu'à l'occupation francais[14]
1535- 1837,grand alger livres,alger,2005,pp :354- 355.

Mouloud Gaid .[15]. ,op.cit,p :42.

عبد القادر حلوش،سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1999، ص 30.[16]

[17] فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 67.

الحسين الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار،ط 1، المجلد 1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر[18]
2006، ص 15.

فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع، رسالة دكتوراه في التاريخ غير منشورة، جامعة قسنطينة، 1997-1998،ص 90.[19]

محمد الصالح بن العنتري،فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على اوطانها او تاريخ قسنطينة (تحق تق: يحي بوعزيز)،[20]
طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009 ، ص ص 82- 83.

محمد السعيد قاصري،" المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان"، مجلة عصور جديدة، العدد 18 ، 2015، ص 156..[21]

ناصر الدين سعيدوني، ابحاث ودراسات في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988، ص ص[22]
295- 296.

سليمان الصيد، نفح الازهار عمّا في قسنطينة من الاخبار، ط1، المطبعة الجزائرية، الجزائر، 1994، ص ص 35- 36.[23]

[24] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب،ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص 198.

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

[25] فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في ....، المرجع السابق، ص 69.

[26] محمد الامين شرويك، المرجع السابق، ص 579.

ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830، ج01، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1998، [27]ص 299

[28] نفسه، ص 229.

Charles faraud, les anciens établissements religieux musulmans de constantine,in R.A,n12,1868,pp :123-124. [29]

فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي للأوقاف 1771- 1792 ،دار هناء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، [30]ص 10.

[31] محمد الامين شرويك، المرجع السابق، ص 580.

ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر اثناء القرنين 18 و 19 معالجة مصادره واشكالية البحث فيه، دار [32]البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر

2008، ص 70